كيف نواجه العدو ؟

نحن نواجه أزمة اقتصادية طاحنة ، وغلاءً وحشيًّا مجنونًا لا يريد أن يقف عند حد ، وينذر بعواقب وخيمة لا يجوز أن نقف أمام نُذُرِهَا مكتوفى الأيدى . وقد يطول الانتظار حتى تظهر نتائج الجهد المبذول فى تنفيذ الخطة حتى يشعر بها المواطن المطحون فى حياته اليومية . فى مثل هذه الظروف يجب أن تتفجر فى الأنفس شعلة التضامن الاجتماعى ، ويعرف كل فرد واجبه فى حدود إمكاناته ، كل فرد وكل جماعة وكل مؤسسة على جميع المستويات الرسمية والشعبية .

أول ما يجب أن يختفى من حياتنا الإسراف والسفه ، إذْ لا يمكن الجمع بين أزمة طاحنة وإسراف سفيه ، يجب أن نتخذ من الترشيد أسلوبًا جديدًا فى حياتنا ، وهو أسلوب يعد فضيلة فى الظروف العادية ولكنه ضرورة حتمية فى الظروف الاستثنائية .

نحن فى حاجة دائمة إلى ترشيد فى الإنجاب ، والطاقة ، والمياه ، والغذاء ، وخاصة ما يتعلق بالكماليات والمظاهر والتقاليد البالية .

وليس من العدل أن نوجه هذه الدعوة إلى الجميع على قدم المساواة ، ولكن لُكَلٍّ على قَدْرِ قدراته . يجب أن توجه أولا إلى الدولة لتكون قدوة ومثالا ، ولئلاَّ تنفق مليماً بلا ضرورة وفى غير مصلحة عامة . وتوجه إلى

القادرين الذين ينفقون بلا حساب وبدون مراعاة للظروف والمشاعر أو تَدَبُّرٍ لما يحدثه سلوكهم فى إطلاق العنان لوحش الغلاء ليفتك بإخوانهم من ذوى الدخل المحدود . وتوجه بعد ذلك إلى كل مَنْ يملك فرصة للانضباط بدون أن يكلف نفسه مالا تطيقه . على كل فردٍ أن يعيد النظر فى حياته ، ويحاور ضميره ، ويستمد القوة من ذاته ، ويتذكر أنه عضو فى جماعة لا حياة لها إلا بالتآلف والتضامن والإنسانية .

١٩٨٨ / ٩ / ٨

obeikandl.com

الحلم والواقع

حلمى الجميل الذى لا أتخلى عنه أن أرى شعبنا يستقيظ ، أن يستيقظ شعبنا فيسترد وعيه وإرادته ، وأنْ يتملك قوته وسلطانه ، وأن يصبح مصدر السلطات ، وحاكم الحُكام ، ومحرك الأحداث ، فيسود القانون ، وتتقدس حقوق الإنسان ، ويتلاشَى الانحراف ، وينطلق الإنتاج والإبداع ، ليذهب عهد الأوصياء إلى الجحيم ، فقد حل محله عهد ديمقراطية وحرية ، كانوا أوصياء مزيفين . كانوا هم أنفسهم فى أشد حاجة إلى الوصاية والأوصياء .

جربنا ـ قبل وبعد الثورة ـ الوصى العميل ، والوصى الوطنى الثائر ، والوصى السياسى اللبق ، فاختلفت النوايا ، وتنوعت الأهداف ، ولكن حقت الهزيمة والخطيئة على الجميع ، لأن الوصاية الرشيدة لا تكون إلا للشعوب . فى عهود الوصايا المتتابعة ـ قبل وبعد الثورة ـ استشرى الاستعمار ، وضاع الاستقلال ، ومُنِينَا بالهزائم والفساد ، وغرقنا فى بحار القروض ، وفتَكَ الغلاءُ والإرهاب بالكرامة والأمان . ولولا التماعاتٌ من يقظة الشعب فرقت ومضاتها السماء المظلمة على فترات من التاريخ ما بُعِثْنَا من المقابر ، ولا تصدينا للمقادر .

انهض يا شعبنا العزيز واستيقظ . اسحَقْ عادتك السيئة فى تعليق

سوء حظك بنظامٍ أو رجل . لا تُنكر نصيبك من المسئولية مهما جل شأن الخصم أو بطشه . أنت مسئول عن ضياع التجربة الديمقراطية الماضية . أنت مسئول عن فشل التجربة الاشتراكية . لولا صبرك ما تهادَى ظالم أو تمادَى طاغية . وَاجِه الحقيقة . واجه الحقيقة واعترف واندم وتُبْ ، واسترد حقك الشرعى ، والتمس إليه الوسيلة بكل سبيل ، والله معك .

٢٩ / ٩ / ١٩٨٨

obeikandl.com

كلمة بين الصخب والغضب

إليك صورة عامة لحياتنا اليوم . . شعب يقف صابرًا أمام وحش الغلاء ، وترهقه أزمة شبابه ، ودولة تنفذ خطة بعيدة المدى بجهد غير منكور ، ولكنه دون الكفاية بالقياس إلى ضخامة المشكلات ، وفى وسط ينوء بالتسيب واللامبالاة ، وبين هذا وذاك تنطلق من حين لآخر شرارات غاضبة تسفر عن ضحايا من الشعب ورجال الأمن ، متحرشة بالاستقرار ، ومنقضة برعونة على وحدة الأمة المقدسة .

لابد من كلمة للجماعات الإسلامية ، ولابد من كلمة إلى الدولة .

للجماعات أقول : إنه لم يَخْلُ عصر من عصور الإسلام من فِرَق متناقضة ، تعايش بعضها فى ظل الخلاف المشروع ، وتقاتل البعض الآخر فى حروب أهلية أنهكت الأمة ونالت من وحدتها وقوتها . فى عصرنا يُعالج الخلاف الفكرى فى جو الديمقراطية بالمناقشة والدعوة ، ولا يلجأ فيه إلى القوة إلا عاجِزٌ أو مستبدٌّ أو إرهابىّ ، وما أنتم فى النهاية إلا فرقة إسلامية لها فكرها ورؤيتها ، ولستم الوحيدين فى الساحة ، فثمة غيركم مسلمون لهم فكرهم ورؤيتهم .

من حق كل فريق أن يعيش تحت مظلة فكره مؤمنًا آمنًا ، وأن يمارس حياته بما يُرضِى ضميره ويبرىء ذمته . أمَّا تَجاوُزُ ذلك إلى استعمال القوة

فى فرض الرأى فهو سلوك خارج على القانون ، مُهِدِّدٌ للأمن ، ونذير سوء لاستقرار المجتمع ووحدته الأساسية ، ولا مفر من أن يُقابله المجتمع بالدفاع عن نفسه وسيادته بدون هوادة ، وإلاَّ فَقَدَ جدارته ومضمونه ، فليكن جهادكم مشروعًا ، واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم من رجال الأمن .

وللدولة أقول : إنه لابد من مضاعفة الجهد فى البناء ، ومطاردة الفساد ، وإحقاق الحق والعدل ، وسيادة القانون ، وإنَّ ملاذَنَا الأخير فى استكمال الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ، فدعوا الأحزاب تتكون كيفما تشاء ، وأطلقوا الحرية للأحزاب القائمة لتعمل على استقطاب الشباب وتربيتهم ، وبث الوعى المضىء فى قلوبهم ، دعوا الشعب يتحرك ويستعيد صحته وعافيته ليعلو صوته على جميع الأصوات .

إن النُّذُرَ تتطاير من حولنا حاملة رسائل الكدر ، ولن يعنى السكون إلاَّ الاستسلام لمستقبل مجهول فى غير صالحنا .

١٣ / ١٠ / ١٩٨٨

شرفاء لكن مجرمون

لا يخلو مجتمع من الجريمة ، ولكن كلمتى لن تجرى حول المجرمين العاديين ، مثل معتادى الإجرام والمتورطين فى الجريمة لأسباب شتى ، وذوى العاهات العقلية ، والإرهابيين .

هنالك نوع آخر ، لا يختلف فى مظهره عن المواطن الصالح ، فهو يمارس مهنة مشروعة ، وقد يحظَى بالجاه والنفوذ ، ولكنه يرتكب من الغش والفساد والانحراف فى عمله ما يتسبب فى الأذى أو يسوق إلى الهلاك ، وهو يقدم على انحرافه بدافع الطمع أو الإهمال ، وبضمير ميت يدل على أنه دسيسة خبيثة فى المجتمع وليس عُضْوًا عاملاً فيه .

وقد عرفنا من تلك الجرائم ألوانًا شكلت فى زماننا ما يمكن أن نعتبره ظاهرة ، أسوق إليك أمثلة على سبيل التذكير ليس إلاَّ . منها الأغذية الفاسدة التى طُرحت للتداول مع علم أصحابها بفسادها . ومنها الأغذية التى هَمَّ أصحابها بإدخالها إلى البلاد وهم على تمام العلم بتسرب الإشعاع القاتل إليها . ومنها ما نُشر عن كابلات مستهلكة ظلت تعمل بعد انقضاء عمرها الافتراضى ، فأحدثت المئات من الحرائق والضحايا ، وغير ذلك مما تراه الأعين أحيانًا فى الطرقات .

ماذا يعنى هذا ؟ يعنى أن يوجد مجرمون متخفون تحت أقنعة الشرفاء ،

وأن انحرافهم يتجاوز حدود الفساد الجارى إلى الشروع فى القتل أو القتل نفسه ، وأن المواطن الذى نطالب له بحقوق الإنسان محروم لديهم من حقوق الحيوان والنبات .

والأمر لا يحتمل الصبر حتى يطرح التهذيب والتربية والحضارة ثمراتها الإنسانية ، فلا مناصَ من الرقابة والمتابعة واتخاذ الإجراءات الصارمة للقضاء على الجريمة والمجرمين ذوى الأقنعة الشريفة ، وهم شَرُّ أنواع المجرمين .

١٠ / ١١ / ١٩٨٨

obeikandl.com

نحو مجتمع لا يقوم على العنف

هنالك حوادث عنف تستحق الحزن وتثير الامتعاض . وهنالك تحاملات قاسية لم نعهدها إلا أيام الاستعمار أو الاستبداد . وإذا كنا مازلنا ننعم عمومًا بالاستقرار والطمأنينة فإنما يرجع الفضل فى ذلك إلى صولة جهاز الأمن ، وما فُطِرَ عليه شعبنا من اعتدال ورحمة . ونحن نريد للاستقرار أن يدوم ويرسخ بفضل المناخ النقى والعدل الشامل والخير السابغ والمبادىء السامية ، لكى نقضى على العنف ، بل لكى نبنى نهضة جديرة بنا ، وهو الأهم ، وهو الهدف .

إنَّ علينا أن نستثمر جميع طاقاتنا فى تنفيذ التنمية الشاملة ، خطة بعد خطة ، وأنْ ننظر إلى الحياة نظرة جدية قادرة على البذل والتضحية وضبط النفس والشهوات ، والإضراب الكامل عن كافة ألوان السفه والتبذير .

وأن نطارد الفساد مطاردة لا تقف عند حد ، ولا تعرف المواربة أو الهوادة أو التمهل ، لنستعيد الثقة فى أنفسنا وفى دولتنا وفى الحياة .

وأن نولى الإصلاح السياسى حقه من العناية والاهتمام ، ولنبدأ فورًا فى إلغاء القوانين المقيدة لتكوين الأحزاب كخطوة أولى أو عاجلة لنقضى على أسباب الغربة المخيمة على فئات من الشعب بدون وجه حق .

وأن نستجيب بدون تردد ـ وبالرضا الواجب ـ لمطالب الهيئة القضائية

لدعم استقلال العدالة من أى شائبة ، وإعلاء سيادة القانون بحق ليُظِلَّ الحاكم والمحكوم ، البرىء والمتهم ، فنخطو خطوة حاسمة نحو عصرنا المنير .

وأن نضاعف الجهد لبث روح ديننا بين الناشئة عن طريق التربية ، وبين الناس جميعًا عن طريق وسائل الإعلام ، ليستقر فى أعماق النفوس كطاقة هائلة للتقوى والمعاملة السامية والعمل والعلم والتسامح واحترام حقوق الإنسان .

بعد ذلك يحق لنا أن نتصدى لمن تسول له نفسه الاستهانة بالقانون بما يقطع دابره ويستأصل شأفته .

١٩ / ١ / ١٩٨٩

obeikandl.com

دعوة للدفاع عن النفس

لو وَازنَّا بين المشكلات من ناحية والجهد المبذول لحلها من ناحية أخرى نجد أن كفة المشكلات مازالت الراجحة ، وقبل أن يدهمنا المجهول ونحن مُنْهَمِكُونَ فى حياتنا اليومية ، علينا أن نفكر فى مواجهة دفاعية شاملة لاتخاذ موقف ، والإشارة إليه إشارة واضحة . ونحن ـ كأفراد وأحزاب وهيئات ومؤسسات ـ لا نقصر فى التفكير فى حاضرنا وغدنا ، فما أكثر المقالات والبحوث والكتب والوصايا ، ولكن ذلك جميعه يدور فى برج مستقبل عن الواقع والتنفيذ ، كأنما هو جهد من أجل راحة الضمير أو تزجية الفراغ ، ويبقى الركود من حولنا أو شىء من التحرك البطىء الذى لا يتناسب مع ضخامة المشكلات وتربص الويلات .

علينا كأُمة أن تجتمع لتُحَدِّد موقفها من تحديات عصرها . أن تجتمع أحزابها المُعْلَنَةُ وغير المعلنة ، وأهلُ الخبرة المُوَزَّعُون بين المجالس القومية والنقابات المهنية والعمالية والجامعات . أن يجتمعوا لدراسة المشكلات واقتراح الحلول . قد يتفقون على رأى فى أمر أو أكثر ، وقد يصلون إلى أغلبية فى أمور ، وقد يختلفون فيما عدا ذلك ، ولكننا سنهتدى من خلال الاجتماع إلى قرارات على سبيل الإجماع فلا نتردد فى تنفيذها ، وهو حكم يسرى على الأغلبية ، ويشجع الحكومة على إصدار قراراتها ، وحتى ما

نختلف فيه سيتضح لنا منه ما يخفى على العين العابرة . علينا أن نتحرك حتى لا نبدو لعين التاريخ كقوم غارقين فى غفلة الذهول انتظارًا لما يجىء به الغيب . وكيف يركن قوم للغفلة وحياتهم تموج بمشكلات مثل الديون ، والنمو السكانى ، والبطالة ، وأزمة الإنتاج ، والفساد ، والتوفيق بين الرؤية الإسلامية والوحدة الوطنية والعصر ؟!

١٢ / ٤ / ١٩٨٩

obeikandl.com

بين الدفاع والإصلاح

هانحن نعقد العزم على التصدى بحزم لجرائم المخدرات والاغتصاب، ونتشدد فى سَنِّ القوانين الرادعة العادلة حماية للكرامة البشرية وسلامة الوطن . وما من شك فى أن جميع انحرافات الفساد التى تعوق نهضتنا تستحق مثل ذلك الحزم ، فتهريب الأموال ، والنصب على البنوك ، والاتجار فى العملة ، ورفع الأسعار المفتعل ، وسوء معاملة الشعب ، واستغلال النفوذ ، والمحاباة الطبقية ، كل أولئك تشكل وضعًا غير إنسانى ، وتحدث ضررًا بالغًا للملايين ، وتعوق نهضتنا عن الانطلاق ، وتدهمنا وتداهم أبناءَنا بالإحباط والسلبية ، وتحرض البعض على التطرف ، كما تغرى البعض الآخر بالانحراف . ومع ذلك فحذار أن نتوهم أن العقوبة هى نهاية الجهد والاجتهاد أو غاية الختام . العقوبة وسيلة لا غنى عنها لخط الدفاع الأوَّلِىّ ، وهى تجىء فى تقدير الإصلاح فى المستوى الأدنى ، وما هى إلا الوسيلة السهلة المتاحة إذا تأخرت الوسائل الناجعة أو تأخرنا عنها .

العلاج الحقيقى يوجد فى شبكة معقدة متكاملة من الإنجازات : فى الاقتصاد ، والسياسة ، والثقافة ، والأخلاق ، وهو ما نسميه بحق التنمية الشاملة . هى المشروع القومى لمن يبحثون عن مشروع قومى ، وأى مشروع يفوق فى أهميته القضاء على التخلف والانطلاق نحو

العصر. وكلما تقدمنا خطوة فى الإنجاز تقدمنا تلقائيًا فى خدمة الوطن والشباب والعقل والذوق ، وتغير منظور الحياة أمامنا ، وارتفع موقعنا فيها ، فتجرى الدماء فى العروق ، والآمال فى القلوب .

والعقوبات الحاسمة ضرورة ولا شك ، ولكن الشباب فى حاجة إلى مَنْ يناجيه فى أزماته الطاحنة ، ويهديه إلى الصراط المستقيم وهو يخوض ظلمات الليل البهيم . أهلاً بالعقوبات الحاسمة ، ولتكن فرصة نُقَوِّمُ فيها المُعْوَجَّ من شئوننا ، ونطهر أنفسنا من الخبائث .

١٩٨٩ / ٥ / ٤

obeikandl.com

الوعظ فى هذا العصر

رسالة الوعظ هى أن تعرفنا بالدين للعمل للآخرة والدنيا معًا ، أن نعبد الله عبادة صحيحة ، وأن نتعامل مع الناس وأطوار الحياة بما يرضيه ، ومهمته الأولى يسيرة ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة ، الأولى يسيرة لثباتها ووضوح معالمها ، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة لأنها لا يجوز عليها الكسل أو الغفلة ، لأن الدنيا تجرى بدون توقف مع الزمن ، وتتلقى كل يوم ـ وربما كان ساعة ـ جديدًا فى المعرفة والعمل ، وما يترتب على ذلك من تجديد فى المعاملات والسلوك والعلاقات التى يتبادلها البشر ، سواء فى الوطن الواحد أو على مدى الكرة الأرضية . ويتطلب ذلك من الواعظ يقظة مستمرة ، ووعيًا بعصره ، واطلاعًا متواصلا على ما يحدث فى الحضارات ، وما يضطرم به جوف الحاضر أو يتمخض عنه وجه المستقبل .

ويجب أن يوضع ذلك فى الاعتبار عند وضع المناهج الدراسية للوعاظ ، وبخاصة ما يتعلق بالحضارة وروح العصر ومتطلباته ، وسير البشرية من الثورة الزراعية إلى الصناعية ، وانتقالها رويدًا رويدًا إلى عصر المعلومات ، وكيف أنها بفضل وسائل الاتصال الحديثة تتجه نحو نوع من التوحد ، وأنه لن يوقف موجاتها المتدفقة قرار أو مصادرة أو رقابة أو

غير ذلك من وسائل الهروب . فالسؤال المطروح على الوعظ والوعاظ هو: كيف نعيش مسلمين اليوم وغدًا فى هذا العالم المهيمن الذى لا مهرب منه ؟

من هنا تجىء أهمية الاجتهاد للتصدى والمواجهة ، ولكى يشارك المسلم فى الحياة المتجددة بدون حرج أو شعور بالغربة ، أو محاولات يائسة للهروب إلى كهف الماضى ، فإما أن نجتهد وإما أن نقترض . ولذلك يجب أن ينتمى الوعاظ إلى هيئة عليا من العلماء المجتهدين ، لعلها أخطر الهيئات الدينية فى عصرنا ، يوكل إليها رسم الحدود لحياة المسلم فى العصر الحديث . جميل أن نتذكر القول بأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان ، وقد آن لنا أن نثبت ذلك بالفعل والعقل والإيمان .

١ / ٦ / ١٩٨٩

البَنَّاءُون والمخربـون

فى حياتنا أصدقاء وأعداء ، أولئك يبنون وهؤلاء يخربون ، ربما انتصر المخربون فترة من الزمن ، ولكن العاقبة فى النهاية للبنائين . ولعله من المفيد أن نستعرض ونتذكر ، فَمَنْ هم البناءون ومن هم المخربون ؟

أذكر فى البنائين :

١ ـ الرئيس الذى لا ينى عن الحث على العمل والتحذير من الفوضى ، يطوف بمواقع العمل فى الداخل ، وينتقل بين الشرق والغرب فى الخارج سعيًا فى سبيل الخير والسلام .

٢ ـ قلة جادة مجتهدة ، عاملة فى صمت ، تنفذ الخطة بأمانة وخبرة ، تكافح مشكلات الحاضر وتتطلع إلى الغد ، وتبشر بمستقبل أفضل .

٣ ـ معارضة صادقة وطنية لا تضن برأى ولا تخشى فى الحق لومة لائم ، وتصبر على مكاره كثيرة وظروف عسيرة .

٤ ـ جماعة مخلصة من أهل الرأى والخبرة فى المجالس القومية ، تفكر وتفكر ، وتصدر التوصيات تلو التوصيات ، وتتابع بهمة كل كبيرة وصغيرة .

وأذكر فى المخربين :

١ ـ المهملين والمتسيبين واللامبالين .

٢ ـ ناهبى المعونات ومهربى الأموال .

٣ ـ المتهربين من الضرائب .

٤ ـ تجار الموت من مهربى المخدرات ومروجيها .

٥ ـ المتربحين من معاناة الشعب والمتاجرين بلقمته .

٦ ـ المضللين المزايدين بأجمل الكلمات لخدمة أحط النوايا .

٧ ـ العابثين بحقوق الإنسان وقيمه وآماله .

أما البَنَّاءون فيستحقون تقدير الأمة . وأما المخربون فيستحقون الموت .

١٩٨٩ / ٦ / ٨

obeikandl.com

ما من مجتمع إلا وله نصيبه من الجرائم والانحرافات . لعلها تقل كلما أحرز المجتمع مزيدًا من التوازن الروحى والمادى فاتسم بالحضارة والصحة النفسية ، وتزيد كلما اختل ميزانه وتكالبت عليه عوامل الجهل والفقر والتخلف ، فسرى فى أوصاله التحلل واليأس واللامبالاة . لذلك فإن كفاح الجريمة حقًّا ما هو إلا باب من أبواب كفاح التأخر بصفة عامة ، وإعلان الحرب الحضارية على الجهل والمستوى المتدنى من المعيشة والقهر والعبث بحقوق الإنسان والتطاول على قداسة القانون والقيم . تُرَى ما الموقف المثالى لوسائل الإعلام من الجرائم والانحرافات التى لا تبرأ منها فئة أو طبقة ؟

لا يمكن أن تتجاهلها إيثارًا للسلامة وحسن السمعة ، وإلاَّ خانت رسالة من أهم رسائلها ، وهى إمداد الناس بالمعلومات عَمَّا يقع فى بلادهم والعالم ، لتستخلص العبرة منه وتحث على مقاومته واقتلاعه من جذوره .

ولا يمكن أن تعالجها بروح الإثارة والتشويق والتهويل لما يعنيه ذلك من المغالاة فى تصويرها ، وما يصاحبه حتمًا من إشاعة الفزع واليأس ، بل وما قد يغرى المترددين والمرضى النفسيين بالتورط فى الجريمة .

لم يبق إلا أن تنشر الأخبار بجدية وموضوعية ، وتراجع فى التعليق عليها أهل الخبرة من رجال الأمن وعلماء النفس والاجتماع . وعلى رجل الإعلام أن يضع نُصب عينيه الهدف الحقيقى من رسالته فى هذا الجانب المأساوى من الحياة ، وهو التعريف والتثقيف والتقويم والدفاع عن حياة المجتمع وقيمه ، بعيدًا كل البعد عن الإثارة أو التجارة .

١٤ / ٩ / ١٩٨٩

obeikandl.com